البَـرُّ

من أسماء الله الحُسنى البَرّ. . البَرُّ اسمٌ من أسماء الله الحُسنى ورد في الأحاديث الشريفة التي أُدرجت فيها أسماء الله تعالى .

والبرُّ. . هذه الكلمة باؤها مثلَّثة. . ومعنى ذلك أي أنَّ هناك بَرٌّ ، وبُرٌّ ، وبِرٌّ ، فالبُرُّ هو القمح. . والبِرُّ هو الإحسان. . والبَرُّ هو اليابسة في الأصل ، أما البَرّ إذا كان اسماً من أسماء الله الحُسنى فهو بالفتح ، أي فاعل البِرّ ، والبِرّ هو الإحسان ، أي المحسن فقد قال تعالى :

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور : ٢٨] .

أي هو المحسن .

البِرُّ هو الصِلة ، إسداء المعروف ، المبالغة في الإحسان ، البَرُّ هو المُحسن ، فلان بارٌّ بأبويه إذا كان محسناً لهما ، البَرُّ من الخلق من تتوالى منه أعمال البِرّ ، فهناك مبالغة فمن تتوالى منه أعمال البِر من الخلق يسمَّى براً ، أما إذا كان هذا الاسم منسوباً إلى الله عزَّ وجلَّ فالبرُّ هو مطلق الإحسان .

البِرُّ بالكسر. . الصلة والإحسان ، فلان يبَرُّ والديه أي يصلهما بإحسانه ، وفلان يبَرُّ رحمه أي يصلهم ، والصلة : العطاء مع اتصال ، عطاء مع زيارة ، والله جلَّ جلاله يقول :

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

هذه الآية دقيقة المعنى جداً ، قد تلتقي في عملك وفي محيطك ، وقد تلتقي مع أقربائك بنماذج لا يُناصبونك العِداء ، ولا ينكرون عليك تديُّنك ، بل إنَّهم أضعف من أن يتمسَّكوا بما أنت عليه ، هؤلاء يُقدِّرونك لكنهم ليسوا ملتزمين ، لم يصطلحوا مع الله بعد ، لم يقبلوا عليه ، ليسوا ملتزمين ، لكنَّهم لا يُناصبونك العداء ، بل يقدِّرون فيك هذا الاتجاه الطيِّب ، هذا التديُّن الصادق ، مثل هذه النماذج من الناس من الجريمة أن تُسيء إليهم ، هؤلاء يقدِّرون ، منصفون ، يتمنَّوْن ، وهم غير ملتزمين ، فلا تعنِّفهم ، لا تناصبهم العِداء ، استمل قلوبهم إليك ، لقوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ .

أن تبَرُّوهم أي أن تُحسنوا إليهم ، فإذا لم يكن يصلّي ولكنه لا يُعاديك ، أنت إن أحسنت إليه حملته على الصلاة ، أنت إن أحسنت إليه حملته على حضور مجلس علم ، أنت إن أحسنت إليه حملته على الطاعة .

أن تجد إنساناً غير ملتزم لكنَّه لا يعاديك ويقدِّر فيك تديُّنك ، يكبر فيك استقامتك ، لكنَّه لم يصطلح بعد مع الله ، هذا النموذج ينبغي أن تُحسن إليه ، وينبغي أن ترعاه ، ينبغي أن تُمدَّ إليه يد المساعدة ، ينبغي أن يرى فيك تواضُعاً ، وانفتاحاً وإحساناً لأنَّه قد ورد في الأثر القدسي : أن يا داود ذكِّر عبادي بإحساني إليهم فإنَّ النفوس جُبلت على حبِّ من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها .

وإنّ كثيراً من المؤمنين ممّن هم في أرقى مستويات الإيمان ، سبب إيمانه ، والتفاته إلى الله ، وإقباله عليه موقفٌ أخلاقي من مؤمنٍ ، فإنَّه يوم كان متفلِّتاً ، وغير ملتزم التقى بمؤمن ، فأحسن إليه ، وتلطَّف معه ، وأكرمه ، فانشرح قلبه للإيمان .

فقد قرأت قصَّة عن عدَّة فتيات في بلد عربي اشتُهرن بالفن ، فهؤلاء الفتيات تُبن إلى الله عزَّ وجلَّ وتحجَّبن واصطلحن معه ، وشكَّلن مجتمعاً صغيراً واعتزلن الفن ، إحدى اللواتي لم تستقمن ولم تصطلح مع الله ولم تتُب بعد تاقت إلى أن تعرف حياة هؤلاء النسوة اللواتي اصطلحن مع الله ، فذهبت لزيارتهن . . والنقطة الدقيقة في هذه القصَّة أنَّهنّ رحبن بها واستقبلنها ورأت بأُمِّ عينها مجتمع الصدق والوفاء والحب والاستقامة والطهر والعفاف والالتزام ، ولأنَّهُنَّ استقبلنها ورحَّبن بها وأرينها ما هنَّ عليه من تواصل ، ومن حب ، ومن وئام ، ومن مودَّة ، ومن عفاف ، ومن طهر ، انضمَّت إليهن ، حينما طرقت بابهُن لم تكن ملتزمة ، لو رفضنها وطردنها لبقيت شاردةً ، بقيت بعيدةً في سكة التيه والضلال .

فأقول وبهذه الدقَّة . . لو أن إنساناً ليس ملتزماً إطلاقاً أراد أن يزورك ، أراد أن يلتقي بك ، أراد أن يرى على أيِّ شيءٍ أنت ، فينبغي أن تفتح له صدرك وأن تُرحِّب به ، وينبغي أن يرى من كمالك ومن تواضُعك ، ومن كريم خصالك ، ومن حبِّك له ، هذا الموقف الأخلاقي هو الذي سوف يجُرُّه إليك ، هذا الموقف المتواضع هو الذي يحمله على التوبة ، ورحم الله أبا الفتح البستي إذ قال :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

أنت لم تكن ملتزماً وقد منَّ الله عليك ، واصطلحت معه ، وأقبلت عليه ، ألا تُحبُّ أن يكون الخير عاماً ؟ كيف كنت بعيداً عن الالتزام وجاء أُناسٌ تقرَّبوا منك وحملوك على طاعة الله ، كما فُعِل بك افعل مع غيرك ، كما ذكَّرك الله ، ذكِّر غيرك ، كما أحسن الله إليك أحسن إلى عباده ، كما أنعم الله عليك بنعمة الهدى أنعم على عباده بنعمة الهدى ، لا تكن مغلقاً ، لا تكن محدوداً ، لا تكن متعصِّباً ، لا تكن متشنِّجاً من هؤلاء غير الملتزمين ، فماذا يحدث لو رأوا منك الكمال ؟

أبو حنيفة النعمان له جار يغني طوال الليل ، بحيث يعكّر على الإمام ليله ، ولا يستطيع أن ينام ، ويقول :

أضاعوني وأي فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسداد ثغر

أُلقي القبض عليه ، فذهب أبو حنيفة إلى السجن يشفع له ، فلمّا رأى الأمير عيسى بن موسىٰ أبا حنيفة النعمان بمهابته يأتي ليشفع لجاره ؛ فأطلق سراح من معه في السجن في تلك الليلة إكراماً له ، وفي طريق العودة إلى البيت قال : يا فتى هل أضعناك ؟ تقول دائماً أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا فهل أضعناك ؟ . فكان هذا الموقف الأخلاقي سبب توبته .

عن أنس رضي الله تعالى عنه أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ـ ﷺ ـ فمرض فأتاه رسول الله ـ ﷺ ـ يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم فأسلم ، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ وهو يقول : (**الحمد لله الذي أنقذه من النار**) [رواه البخاري] فكانت هذه العيادة سبب إيمانه ، وإسلامه واصطلاحه مع الله .

فالبطولة لا أن تكون مكافئاً.. ليس الواصل بالمكافىء ، لكنَّ الواصل من إذا قطعه الناس وصلهم ، بطولتك لا أن تردَّ على زيارةٍ بزيارة ، أو هديَّةٍ بهديَّة ، أو لقاءٍ بلقاء ، أو وليمةٍ بوليمة ، فليس لك فضل بذلك ، أما البطولة أن تبادر ، ألم يروَ عن النبي عليه الصلاة والسلام :

« **أمرني ربِّي بتسع.. خشية الله في السرِّ والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني وأعطي من حرمني وأعفو عمن ظلمني** » .

هذا الذي يقرب الناس إليك ، وهذه الآية دقيقة دلالتها جداً ، قال تعالى :

﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ .

أَنْ تَبَرُّوهُمْ أي أن تحسنوا إليهم ، وما دمنا في هذا الموضوع أذكر لكم آيةً أخرى ، يقول الله عزَّ وجلَّ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾ لا تحملنَّكم عداوة قوم.. وأعداؤكم هم الكفَّار.. على ألا تعدلوا معهم ﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ، إن عدلتم معهم قرَّبتموهم إلى الله ، وتقرَّبوا منكم ، أما إن ظلمتموهم أبعدتموهم عن الله .

فلو أن إنساناً يصلِّي وأساء لنفَّر الناس من دينه ، أو إنساناً يصوم

وأساء نفَّر الناس من دينه ، إنسان يؤدِّي زكاة ماله ، لو أساء نفَّر الناس من دينه ، فأنت إما أن تكون مقرِّباً ، وإما أن تكون منفِّراً ، إما أن تكون جامعاً ، وإما أن تكون مفرِّقاً .

وفي سورة آل عمران قال تعالى : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

« الْبِرُّ » . . مطلق عطاء الله ، إحسانه لكم في الدنيا ، إحسانه لكم في الآخرة ، سعادةٌ تملأُ القلب ، صِحّةٌ تحفظ الإنسان ، هيبةٌ تعين الإنسان على معيشته ، كلُّ أنواع الخير ينطوي تحت بكلمة البر ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ . . أي إذا توهَّمت أنَّ الجنَّة ركعتان تؤدِّيهما ودرهمان تنفقهما وأنتهى الأمر عند ذلك الحد ، وافعل بعدها ما تريد فأنت مخطىء كل الخطأ . . لا . . إنَّ سلعة الله غالية ، إنَّ سلعة الله غالية ، إنَّ سلعة الله غالية فاسمع قول الله تعالى :

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ الشيء النفيس ، الوقت الثمين ، المال الذي جمعته من كدِّك الحلال ، الشيءُ الذي بذلت جهداً فيه للوصول إليه ، هذا ينبغي أن تُنفقه . . ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ .

شاهد آخر : الحجُّ المبرور ، ونحن ما زلنا في كلمة البر ، والبَر ، والبُر . . اسم الله تعالى البَرُّ . . أي المُحسن لأنَّه يعطي البر ويعين عليه وهو الإحسان ، الحجُّ المبرور هو الذي لا يخالطه شيءٌ من المآثم ، والنبيُّ عليه الصلاة والسلام يقول :

« الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلا الْجَنَّةُ » [متفق عليه] .

أي حجٌّ لم يخالطه إثم ، لا رفث ، ولا فسوق ، ولا جدال في الحج . . والحجُّ المبرور ليس له ثوابٌ إلا الجنَّة فقد قال تعالى :

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

البر . . التقوى ، وهذا من معاني البر فقد قال تعالى :

﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] .

وقيل البر . . التقوى . . التوسُّع في فعل الخير ، وقيل اسمٌ جامعٌ لكلِّ الطاعات ، ولكلِّ أعمال الخير المقرِّبة إلى الله ، أو اسمٌ جامعٌ لمرضيِّ الخصال . . وهذا شيء دقيق جداً فالتقوى . . اسمٌ جامعٌ لكلِّ الطاعات ، اسمٌ جامعٌ لكلِّ القربات ، اسمٌ جامعٌ لكلِّ الخصال الفاضلة ، اسمٌ جامعٌ لكلِّ الأفعال المرضية . . والبر هو التقوى ، وفي قاموس تاج العروس . . البر خيرُ الدنيا والآخرة .

خيرُ الدنيا ما يُيَسِّره الله تعالى للعبد من الهدى والصِّحة وراحة البال والطُّمأنينة والرِّزق النفسي ، وفيها من السرور والسعادة والهيبة ، وفيها الزوجة الصالحة والأولاد الأبرار والدخل الحلال .

وخير الآخرة . . الفوز بجنَّة الله وما فيها من النعيم المقيم ، النعيم الدائم ، ومن حورٍ عين ، ومن وِلدانٍ مخَلَّدين ، من جنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار ، من فواكه وهم مكرمون ، وفيها النظر إلى وجه الله الكريم ، والفوز برضوان الله عزَّ وجلَّ الذي هو أكبر من كلِّ شيءٍ في الجنَّة ، فقد قال تعالى :

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢] .

فالبر اسم جامع لخيريّ الدنيا والآخرة .

النبيُّ عليه الصلاة والسلام حينما قال :

« وما يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويتحرّى الصدق حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً . . . وَما يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويتحرّى الكذبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً » [متفق عليه] .

خير الدنيا والآخرة منطو بكلمة البر . . فقد قال تعالى : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ .

عليكم بالصدق ، فإنَّ الصدق يهدي إلى البر ، وأرقى أنواع الصدق أن تكون صادقاً مع الله ، ثم يلي ذلك أن تكون صادقاً مع نفسك ، ثم يلي ذلك أن تكون صادقاً مع الناس .

أن تكون صادقاً مع الله . . فإنَّك إذا عاهدَّته على التوبة ألا تنتكس بعد التوبة ، وإذا عاهدته على الطاعة ألا تعصيه بعد العهد ، وإذا قبَّلت الحجر الأسود في بيته العتيق وفاوضته وذرفت عنده الدموع ، وعاهدته وقتها ألا تعصيه في بلدك ، الصدق أن تنفِّذ هذا العهد .

إنَّ الصدق يهدي إلى البر . . . أي إلى الصلاح ، إلى خير الدنيا ، إلى خيري الدنيا والآخرة ، إلى الخير المطلق .

قال العلماء : زمزم هذا النبع الذي تفضَّل الله به على السيِّدة هاجر وعلى المسلمين من بعد ذلك ، يسمَّى هذا النبع برَّةً . . لكثرة منافعها وكثرة مائها وسعة خيراتها .

البَر أبلغ من البار . . نقول مثلاً علاَّمةٌ وعالم ، العلاَّمة أبلغ ، البر أبلغ من البار وإن كانا بمعنى واحد وهو المحسن ، فلو قلنا : فلان بارٌّ بوالديه . وأما إذا قلنا : فلان بَرّ أي تتالى بِرُّه ، وتوالى إحسانه ، وكثر عطاؤه ، وكثر خيره وطاب ، البر أبلغ من البار .

أما البرُّ في حقِّه تعالى فهو فاعلُ البِرِّ والإحسان ، يحسن إلى عباده بالخير ، فالله عزَّ وجلَّ لماذا خلق الخلق ؟ خلقهم ليسعدهم ، خلقهم ليحسن إليهم ، خلقهم ليكرمهم ، أصل الخلق إحسان ، ففي الأثر : « **إني والإنس والجنَّ في نبإٍ عظيم . . أخلق ويُعبد غيري ، وأرزق ويشكر غيري** » [الحكيم الترمذي] .

مشروع الكون كلِّه هدفه الإحسان ، فقد قال تعالى :

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود : ١١٩] .

فالبَرُّ . . في حقِّه تعالى أي فاعل البِرِّ والإحسان ، يحسن إلى عباده بالخير .

وأحد العلماء يقول : « **البَرّ . . المحسن بالبِرِّ المطلق** » ، فأحياناً المصيبة إحسان ، فتجد إنساناً شارداً غافلاً تائهاً ومنحرفاً ، والله عزَّ وجلَّ بَرّ أي إحسانه مطلق يسوق له بعض الشدائد ليحمله على التوبة ، وإذا حمله على التوبة وتاب إليه قبله وأكرمه ، فكلُّ مصائب الدنيا تنطوي تحت اسم البَر .

طفل يتيم تُوفِّي والده وله جار محسن ، لمحه مرَّةً يسرق فاكهةً من دكان ، فأمسك بيده وعنَّفه ووبَّخه وذكَّره بالقيم الأخلاقيَّة وصار يتابعه ، إلى أن انضبط هذا الطفل وتابع دراسته وكبرت سنُّه ونجح في

حياته ، فبقي سنواتٍ عديدة يقول : لولا هذا الإنسان المُحسن الذي أدَّبني ونبَّهني وراقبني وعنَّفني ما كنت فيما أنا عليه .

وكذلك الله سبحانه وتعالى يكشف لعبده المؤمن يوم القيامة عن كلِّ شيءٍ ساقه له في الدنيا من متاعب ، لا شكَّ أنَّ هذا الإنسان يذوب من شدَّة الامتنانِ إلى الله عزَّ وجلَّ ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ .

لا أريد أن أطيل في هذا الموضوع ، لكن كل مسلم يعلم لولا أنَّ الله تداركه باللطف ، وبالتأديب أحياناً ، وبالتخويف أحياناً ، أحياناً مرضٌ يبدو أنَّه عُضال ، أحياناً فقرٌ مدقع ، أحياناً إنسانٌ قهر يُضَيِّق عليه هذه كلُّها تضييقاتٌ تنطوي على الرحمة ، ويؤكِّد هذا قول الله عزَّ وجلَّ :

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام : ١٤٧] .

قيل : البَر.. هو الذي لا يصدر عنه القبيح . وهذا التعريف سلبي ، فالبر لا يمكن أن يصدر عنه شيءٌ قبيح .

وقد ذكر الإمام الرازي أقوالاً : « **البر.. هو الذي منَّ على المريدين بكشف طريقه ، وعلى العابدين بفضله وتوفيقه** » .

أي أنّ عابداً منَّ الله عليه بقبول العبادة ، وأن سالكاً إلى الله يسَّر له الطريق إليه ، وأنّ إنساناً أراد الإحسان مكَّنه من الإحسان ، البر المحسن يعطي كُلاً سؤله ، فقد قال تعالى : ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء : ٢٠] .

قيل : « **البَر.. هو الذي منَّ على السائلين بحسن عطائه ، وعلى العابدين بجميل جزائه** » .

وقيل : « البَر . . الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان » .

إذا قال العبد : ياربِّ وهو راكع . قال له الله : لبيك يا عبدي ، فإذا قال : يا ربِّ وهو ساجد . قال له : لبَّيك يا عبدي . فإذا قال : ياربِّ وهو عاصٍ . قال الله له : لبَّيك ثم لبَّيك ثم لبَّيك .

وأنت حينما ترى أمّاً لها ابنٌ شارد عنها بعيد ، ولها أولاد بَررة معها دائماً ، كلُّ قلبها مع الشارد ، كلُّ تعلُّقها مع الشارد ، فإذا عاد هذا الشارد إليها فيوم عودته عيد عندها وأي عيد ، لذلك الله عزَّ وجلَّ كما روي في الحديث الشريف : لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من العقيم الوالد ومن الضالِّ الواجد ، ومن الظمآن الوارد .

وقيل : « البَر . . هو الذي يحسن إلى السائلين بحسن عطائه ، ويتفضَّل على العابدين بجزيل جزائه ، لا يقطع الإحسان بسبب العصيان وهو الذي لا يصدر عنه القبيح ، وكلُّ فعله مليح » .

مرَّةً ثانية . . البَر هو الله عزَّ وجلَّ ، أما البِر فهو خير الدنيا والآخرة ، لذلك من الأدعية اللطيفة : اللهمَّ اجعل نعم الآخرة متَّصلة بنعم الدنيا ، فهناك حالات رائعة جداً . . كإنسان متَّعه الله بالصحَّة ، ومتَّعه بالعمر المديد ، ومتَّعه بالعمل الصالح ، ومتَّعه باليقظة الفكريَّة ، ومتَّعه بالحب ، فلما توفي انتقل إلى الجنَّة ، هذه النعم العظيمة في الآخرة اتصلت بنعم الدنيا ، لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ .

اسم البَر ورد في القرآن مرَّةً واحدة فجاء في سورة الطور :

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، ﴿ إِنَّا كُنَّا مِن

قَبْلُ﴾ هم في الجنَّة الآن ويتحدَّثون عن ربِّهم ﴿نَدْعُوهُ﴾ في الدنيا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ . أي برٌّ رحيمٌ بنا في الدنيا والآخرة .

ورد هذا الاسم مشتقاً في سورة مريم ، في قوله تعالى :

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم : ١٤] .

وفي السورة نفسها ورد على لسان سيدنا عيسى :

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم : ٣٢] .

معنى ذلك أنَّ الإنسان إذا أراد الله تأديبه في حياة أمِّه ربَّما كان بعض هذا التأديب لأمِّه . لذلك ورد في الأثر القدسي أنَّه إذا ماتت الأم قال الله سبحانه وتعالى : « **عبدي ماتت التي كنا نكرمك لأجلها ، فاعمل صالحاً نكرمك لأجله** » .

أي إنَّ جزءاً من إكرام الله لك في حياة أُمِّك من أجل أُمِّك ، لأنَّ الله إذا أدَّب عبده في حياة أُمِّه فإن نصف التأديب لأمِّه .

فأحياناً أبٌ يتألَّم من ابنه فيدعو عليه ، فإذا استجاب الله دعاءه تألَّم ألماً أشدَّ . . فلا تتمنّ ذلك . . ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ .

شعور الأب حينما يكون ابنه شارداً منحرفاً ، شقياً ، بعيداً عن الدين شعور أسّى لا يوصف ، فقد يتألَّم ألماً يوجعه ويقعده ، لو أنَّ الدنيا كلَّها بيديه وأنفقها من أجل أن يصلُح ابنه لفعل ، فمن رزقه الله ابناً صالحاً ، وطاهراً ، منيباً ، مصلياً ، عفيفاً ، سلوكه حسن ، هذا الأب عليه أن يُقبِّل الأرض شكراً لله عزَّ وجلَّ .

سبحان الله فالإنسان كلَّما تذلل إلى الله ارتقى عند الله ، فمنذ يومين أخ كريم له مشكلة كبيرة جداً ، فلجأ إلى قيام الليل ، يصلّي قيام الليل وفي السجود دعا ربَّه لحلِّ هذه المشكلة ، والقصَّة من

أغرب القصص حُلَّت بشكلٍ هيّن ولا عنت فيه ، وقد ذكر لي التفاصيل ومن غير المعقول أن تُحلَّ بهذه الطريقة ، ومن شدَّة تأثُّره وبينما هو يجلس في المسجد قام وسجد لله عزَّ وجلَّ شكراً .

فالمؤمن إذا أصابه خير ، أو له مشكلة حُلَّت ، له قضيَّة فُرجت ، أو شبح مصيبة أزيح عنه ، أو شيء ناله ، وقام وصلَّى لله صلاة الشكر وسجد فهذا من مكارم الأخلاق ، فقد تأثَّرت . . قام وسجد وشكر الله على حلِّ هذه المشكلة ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ .

ورد هذا الاسم مشتقاً في آيةٍ ثالثة في سورة عبس قال الله تعالى :

﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس : ١٥ـ١٦] .

فالبَر أي المحسن ، مطلق الإحسان . . يجوز أن تقول فلان بَرٌّ سعيد . . فالنبي ﷺ قال :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا ، فَالنَّاسُ رَجُلانِ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ ، قَالَ اللهُ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [رواه الترمذي] .

قال العلماء : يجوز أن تقول فلان بَر . . فالعبد يكون براً بقدر ما يفعل من البر ، وأفضل إنسان عليك أن تبرَّه أبوك وأمُّك ومن علَّمك ومن زوَّجك ، فقد أتألَّم أشدَّ الألم من صهر يناصب عمَّه العِداء ، فقد زوَّجك ابنته وربَّاها عشرين سنة ، أطعمها وسقاها وأكرمها وعالجها وأدّبها وأعطاها لك هديَّة ، فليس لك همٌّ بعد ذلك إلا إغاظته ؟! فهذا منتهى اللؤم .

لذلك قالوا : أبٌ أنجبك ، وأبٌ زوَّجك ، وأبٌ دلَّك على الله .

أبٌ أنجبك.. الأب النسبي ، وأبٌ زوَّجك.. وهو عمُّك والد زوجتك ، وأبٌ دلَّك على الله وهو من أخذ بيدك إلى الهداية ، فهذه الزوجة التي عندك في البيت ، وهذا أبوها فإن أسأت إليه أسأت إليها ، فليس هناك إنسان إلا وهو يحبّ أمَّه وأباه ، فإذا أسأت إلى أُمِّها وإلى أبيها أسأت إليها ، فإذا أردتَّها أن تموت في حبِّك وأنت تسيء إلى أُمِّها وأبيها فهذا فعل إنسان غبي ، واعلم أنّها لن تحبَّك ، فإذا أردت أن تُكافئها على إخلاصها بإخلاصٍ أكرم أبويها ، قال مالك بن فهم الأزدي :

أُعلِّمه الرماية كلَّ يومٍ فلما استدَّ ساعده رماني
وكم علَّمته نظم القوافي فلما قال قافيةً هجاني

إذا لم يكن في الإنسان خير لأمِّه وأبيه ولمن علَّمه ولمن زوَّجه فليس فيه خير لأحد ، لأنَّ هؤلاء لهم فضلٌ كبير .

سيِّدنا عبد الله بن رواحة عندما رأى صاحبيه قد استُشهِدا في موته قال :

يا نفس إلا تُقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليتِ
إن تفعلي فعلهما رضيتِ وإن تولَّيتِ فقد شقيتِ

لو حسبنا الوقت الذي قال فيهما البيتين لكان عشر ثوان ، إذن تردد عشر ثوان في بذل روحه .

قال لرسول الله ﷺ : « أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم صمت النبي ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه كان في عبد الله بن

رواحة بعض ما يكرهونه قال : « ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً » . ثم قال : **لقد رفعوا إليَّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريري صاحبيه فقلت : بم هذا ؟ فقيل لي : مضيا وتردد عبد الله بن رواحة بعض التردد ومضىٰ** . [رواه الطبراني ورجاله ثقات] .

درجته نزلت لتردده لعَشرْ ثوانٍ . . ثم مات شهيداً ، إحسان الله كبير جداً ، فإذا ترددت في خدمة إنسان بإنفاق ، أو بصدقة ، أو ترددْت بأداء صلاة ، أو بحضور مجلس علم فهذه مشكلة كبيرة .

قالوا : من أدب المؤمن مع هذا الاسم العظيم . . أن تكون أعماله كلُّها خيِّرةً ، أي يتخلَّق بأخلاق هذا الاسم ، إن فعل هذا غُرِست محبَّته في قلوب العباد .

ألوان بِرِّ الله لعباده كثيرة . . قال بعض العارفين : « **سبحان ربِّي الحنان المنَّان ، الذي منَّ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ، والذي منَّ على المؤمنين بأن جعلهم من أصحاب اليمين ، وهو الذي ألهمهم القيام بالأعمال الصالحة ، وهو الذي رزقهم القبول ، وقبول أحسن ما عملوا ، وهو الذي يتجاوز عن سيِّئاتهم** » .

قال العلماء : حظُّ العبد من هذا الاسم البَر أن يكون مشتغلاً بأعمال البِر ، كما قال العلماء « **تخلَّقوا بكمالات الله** » .

الله عزَّ وجلَّ بَر . . أي محسن ، أنت ينبغي أن تشتغل بأعمال البِر ، وقد جمع الله أعمال البِر في آيةٍ واحدة في سورة البقرة ، قال الله تعالى :

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ لا بدَّ من أن تقتطع من وقتك وقتاً كي تؤمن بالله .

فالجانب الاعتقادي . . ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ .

أما الجانب العملي فأوَّله البذل . . ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴾ .

أما العبادات الشعائريّة . . ﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

وأما العبادات الأخلاقيّة . . ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ .

ولعلَّ النبيَّ ﷺ مستلهماً هذه الآية قال :

« عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً » [رواه مسلم] .

قال العلماء : من شرط البر أن تبذل الأحسن . . كما قال الله تعالى :

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ، أحياناً أغلى شيءٍ عليك الوقت يجب أن تنفقه في سبيل الله ، أحياناً أغلى شيءٍ عليك مكانتك يجب أن توظِّفها في خدمة الحقّ .

قال العلماء : من تخلُّق العبد بهذا الاسم أن يكون مشتغلاً بأعمال البر واستباق الخيرات . . وهناك معنى سلبي . . وألا يضمر الشرَّ لأحد وألا يؤذي أحداً ، فإنَّ البَر هو الذي لا يؤذي .

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت النبيَّ ﷺ يقول : « **البِرُّ لا يبلى ، والذنب لا يُنسى ، والديَّان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تَدين تُدان** » .

أي أنَّ المؤمن معطاء ، وغير المؤمن أخَّاذ ، المؤمن بالتعبير الحديث اتخذ قراراً استراتيجياً أن يُعطي . . يُعطي من وقته ومن ماله ومن خبرته ، والكافر رغبته مبنيَّة على الأخذ .

ما زلنا في الحديث عن أدب المؤمن مع اسم البَر . . قالوا : المؤمن متى عرف أنَّ الله هو البَرُّ الرحيم ينبغي أن يكون باراً بكلِّ أحد كما يقول أحد العلماء ، لا سيَّما بوالديه لحديث : « **رضا الربِّ في رضا الوالدين ، وسخطه في سخطهما** » [الطبراني عن ابن عمرو] .

حُكي عن موسى عليه السلام لما كلَّمه ربُّه رأى رجلاً في أعلى مكانةً عند الله فتعجَّب من علوِّ مكانته ، فقال : يا رب . . بِمَ بلغ هذا العبد ذاك المكان ! ؟ فقال : إنَّه كان لا يحسُد عبداً من عبادي على ما آتيته ، وكان براً بوالديه .

لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال :

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

قالوا : من كان الله باراً به عصم عن المخالفات نفسه ، وأدام بفنون اللطائف أُنسه ، ووفَّر في طريقه اجتهاده ، وجعل التوفيق زاده ، وجعل قصده سداده ، ومنبع سلوكه إرشاده ، وأغناه عن أشكاله بأفضاله ، وحماه عن مخالفته بيمن إقباله .

هذا الاسم متعلِّق بالإحسان ، بالحركة ، فأحياناً تجد المؤمن له خصائص عقائديَّة ، أو خصائص أخلاقيَّة ، وكذلك خصائص سلوكيَّة ، أن ماذا فعلت ؟

أنواع البر لا تُعدُّ ولا تُحصى ، فهناك المساكين والفقراء ، وهناك العناية بالأيتام والأرامل ، وهناك معاونة العجزة ، وأيضاً هناك الدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، وتعليم العلم ، وتعلُّم العلم ، فأنواع البرّ لا تعد ولا تحصى ، فالاسم حركي ، أي أنّ هذا الاسم متعلِّق بأعمالك الصالحة ، ولا تنس أن حجمك عند الله بحجم أعمالك الصالحة ، وأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الأحقاف : ١٩] .

* * *